

الإحالة وأثرها في التماسك النصي في سورة الحجرات Role of Reference and Its Impact on Al-Hujurat's Textual Coherence

شادي محمد عيسى الغول⁽¹⁾
Shadi Mohammad Aesa Al Ghol⁽¹⁾

DOI: [10.15849/ZJJHSS.221130.02](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.221130.02)

الملخص

تناقش هذه الدراسة دور الإحالة في التماسك النصي في سورة الحجرات، بوصفها وسيلة من وسائل خلق السمة النصية، ومن موجبات تلك المناقشة جلاء مفهوم الإحالة وأنواعها، وبيان إسهامها في التشكيل البنوي في موضوع النص، لتقدم -من بعد- تصوراً علمياً مستقى من الدراسات النظرية الحديثة للدور الوظيفي للإحالة في التماسك، وينبني على هذا كله بيان قيمة الدراسات النصية الحديثة مقارنة بالدراسات التقليدية في رسم صورة أكثر واقعية للنص.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، النصية، التماسك، النظرية، الحجرات.

Abstract

This paper has examined the role which reference plays in the textual coherence of Al-Hujurat chapter (The Holy Qur'an) as it is one of the means to achieve textual features. To that end, the researcher has defined the concept of reference and classified its types. Then he has highlighted its contribution to the shaping of the structure of the topic of the text. After that, the researcher moved to present a conceptual framework based on modern theoretical studies which have addressed the functional role of reference in textual coherence. In the light of this examination, the researcher has highlighted the value of modern textual studies in drawing up a more realistic picture of the text in comparison with the classical studies.

Key Words: referral/assignment, referral/ text assignment, coherence, theory (noun) /theoretical (adjective), Hujurat (inner apartments)

⁽¹⁾The Ministry of Education, Grammar
* Corresponding author: shadi_p1@yahoo.com

Received: 6/04/2022

Accepted: 2022/08/29

⁽¹⁾وزارة التربية والتعليم - نحو ولسانيات

* للمراسلة: shadi_p1@yahoo.com

تاريخ استلام البحث: 2022/04/6

تاريخ قبول البحث: 2022/08/29

المقدمة

نحا الدرس اللغوي الحديث إلى دراساتٍ لسانيةٍ نصّيةٍ تتوافق والتطور العلمي في دراسة اللغة، وربطها بطرائق التفكير المؤلف، وواقع الحياة البشرية فعلياً لا نظرياً، بصورة تتجاوز قراءات النص التقليدية، وأنماطه التحليلية الموروثة، فلم يك ذلك الانعطاف الحاد من دراسة مستوى الجملة إلى دراسة مستوى النص إلا لقصور الدرس البنيوي الجملي عن تفسير العديد من الظواهر اللغوية، فسلك درس اللسانيات مسلماً آخر حتى اتخذ موضعاً جوهرياً في الدراسات اللغوية الحديثة، وليس بخاف على ذي عينين أن موضوع تلك الدراسات هو التماسك النصي الذي يحققه الاتساق والانسجام، فللسانيات الفضل في ذلك التحول من المستوى الضيق للجملة إلى المستوى الرحب للنص، ذلك الذي يُعنى بالنظر في وسائل الاتساق وآليات الانسجام دون إهمال السياق، ودور المتلقي.

وبعد أن كانت الجملة هي حجر الزاوية في الدراسات اللغوية التقليدية، ونقطة انطلاق الدارسين، حال هذا الأمر - منذ مطلع القرن العشرين - إلى الاهتمام بدراسة النص بوصفه السياق الأوسع والأشمل، فلا يمكن دراسة المعنى منفصلاً عن سياقه اللساني المتمثل في النص من حيث بنيته الداخلية ووحده الجزئية، وتفحص مظاهر الانسجام، والاتساق فيه⁽¹⁾.

وإذا كان مضمائر الدرس النصي وصف النصوص نحويًا ولسانيًا، ووصف الجمل فإن من أبرز مهامه إحصاء الأدوات والروابط، التي تسهم في التحليل عن طريق إبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي، مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة⁽²⁾.

من البدهي أن علم النص "يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم يُنظر لها من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية، مع قواعد ترابطها، وبعبارة موجزة حدّد علم النص مهام معيّنة، لا يمكن أن ينجزها الدرس اللغوي بدقة إذا التزم حدّ الجملة"⁽³⁾. هذا غير أن لسانيات النص تتخذ من العلوم الأخرى كالنحو والصرف والأصوات والبلاغة والنقد منطلقاً أساسياً لها، إضافة إلى علم الاجتماع، وعلم النفس اللغوي، وعلم النفس الاجتماعي، والفلسفة، والمنطق.

الإشكاليات التي تثيرها الدراسة

تتعلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسية، هي: ما دور الإحالة -بوصفها وسيلة من وسائل الترابط النصي- في خلق السمة النصية في سورة الحجرات؟

ومن موجبات ذلك جلاء الإشكاليات الآتية:

- ما مفهوم الإحالة؟ وما أنواعها؟ وما أليانها؟
- كيف أسهمت الإحالة في ترابط النص في سورة الحجرات؟
- ما دور الإحالة في التشكيل البنيوي في بؤرة الدراسة؟

(1) ينظر: حشاشي، زهور، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قدر حبه) لمحمد جربوعة، رسالة ماجستير، إشراف: ناصر بركة وآخرون، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2016، ص (أ).

(2) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، ج(1)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 58.

(3) ينظر: بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط(1)، دار تويار، القاهرة، 1997، ص 134-135.

سبب اختيار الدراسة

لقد تبدى لي مؤخرًا أهمية علم لسانيات النصّ في الوقوف على ملامح التماسك النصّي، وعلاقته بمدى الإبانة والإفهام بين منثنيّه ومستقبله، ولما كانت دراستي السابقة نحوية محضّة وجدتني أكثر ميلاً لدراسة الإحالة النصّية، لارتباطها بعلم النحو بوجه من الوجوه.

وإن كان النصّ القرآنيّ أشرف نصّ، وأرقى خطابٍ فإنّ سورة الحجرات ذات موضوعات أخلاقية وتربوية مميزة؛ إذ وضعت بين يدي المسلمين منهجًا متكاملًا للحياة الاجتماعية المثلى، فلهذا وذاك كان اختياري لهذه الدراسة بهذا العنوان.

أهمية الدراسة

ستناقش هذه الدراسة الإحالة في نصّ قرآنيّ انسجامًا مع التطور الحديث في الدرس اللغويّ، وتبرز أهمية ذلك جليّة فيما يلي:

- 1- بيان الدور الوظيفي للإحالة في الترابط النصّي في سورة الحجرات.
- 2- الوقوف على مدى الارتباط بين آليات الإحالة وموضوع النصّ.

المنهج المتبع

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يقوم على وصف ظاهرة الإحالة، ويكشف عن العلائق المتعاقبة في النصّ.

الدراسات السابقة

هذه دراسة لسانية محضّة، تتناول موضوع الإحالة في نصّ قرآنيّ، ولم أجدُ باحثًا تناول هذا الموضوع في هذا النصّ على وجه الخصوص، سوى ما تقارب معه بوجه العموم، من مثل ما يلي:

- دور الإحالة الضميريّة في بلورة موضوع قصة سيدنا موسى، إيمان بليلة ويمينة هارون، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، 2017. تكشف هذه الدراسة عن وظيفة الإحالة في تماسك نصّ قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم، ودور ذلك في تبليغ سيدنا موسى دعوة ربّه إلى فرعون وقومه.
- أثر عناصر الاتساق في تماسك النصّ (دراسة نصّية من خلال سورة يوسف)، رسالة ماجستير، محمود سليمان حسين الهواوشة، جامعة مؤتة، الأردن، 2008. جاءت هذه الدراسة لتفريق بين المعنى والفكرة في الجملة والنصّ، وبيان الدور البلاغيّ في منطقيّة التركيب، وبيان أثر الموجهات في بناء النصّ، واستعرضت مفهوم الاتساق وعناصره، والإحالة وأهميّتها، ثم تناولت تحليل سورة يوسف وفقًا لعناصر الاتساق اللفظيّة.

- **بنيّة النصّ في سورة الكهف (مقاربة نصيّة للاتساق والسياق)**، رسالة ماجستير، شعيب محمودي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010. هذه دراسة تبحث في سبيل الاتساق في سورة الكهف، وانسجامها، والكشف عن النظام اللغوي الذي حقق لها النصيّة بصفة خاصة.

ما ستضيفُهُ هذه الدراسةُ

تسعى الدراسة إلى الكشف عن الترابط اللفظي القرآني في سورة الحجرات، بالوقوف على ظاهرة الإحالة، ورصد عناصرها الدالة على الترابط النصي؛ لتوصيف مدى ذلك الترابط بصورة علميّة، وكان من موجبات هذه الدراسة بيان قيمة الدراسات النصيّة الحديثة مقارنة بالدراسات التقليدية في رسم صورة أكثر واقعيّة للنصّ.

المُخطّطُ التفصيليُّ للدراسة

تقوم هذه الدراسة على مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدّمة:** تتضمّن الحديث عن إشكاليّات الدراسة، والأسباب الدافعة إلى اختيارها، وأهميّتها، والدراسات السابقة في الموضوع المطروق، والمنهج المتّبع في جلاء حيثيات الدراسة.
- **المبحثُ الأوّل: الجانبُ النظريُّ**
ويتضمّن التماسك النصي، ومفهوم الإحالة، وأهميّتها وأنواعها، والوسائل التي تتحقّق بها، والتعريف بسورة الحجرات، وسبب التسمية، وأسباب النزول، والموضوعات التي تعالجها.
- **المبحثُ الثاني: الجانبُ التطبيقيُّ**
ويتضمّن تحليل سورة الحجرات، بالوقوف على الإحالة بالضمائر، والأسماء الموصولة، أسماء الإشارة، دور الإحالة في تحقيق الترابط النصي.
- **الخاتمة:** فيها إجمالاً لما وصلت إليه الدراسة من نتائج وبيانات.

المبحث الأول الجانب النظري

التماسك النصي

لقد تقرر أن التحول الطارئ في علم اللسانيات الذي اعتنى بمعايير الربط النصية هو المنطلق الذي يجعل النص نصاً، وذلك بالكشف عن مدى تظافر المعايير النصية، كالسبك والحبك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص⁽¹⁾، فقد انبعت عن الدراسات اللسانية أبحاث عديدة، تدرس كل ما يتعلق بأدوات الربط التي تحقق تماسك النص بنويًا، ذلك التماسك القائم على "مجموعة العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية، التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية والنص من ناحية، والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"⁽²⁾، وبمفهوم أوسع، هو: "مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص، إذ تلتحم هذه الأجزاء، ويتماسك بعضها مع بعض، فإذا غاب هذا الالتحام، ظهر النص كأنه أشلاء ممزقة لا رابط بينها، وللتماسك أهمية كبرى في العمل الأدبي، بل في عمليات الاتصال اللغوية كلها"⁽³⁾.

إذن، ماهية التماسك تنبني على مفردات النص، والربط بينها؛ لتشكل مجموعها بناءً محكمًا، فكل عنصر يتماسك مع العناصر الأخرى؛ ليكون النص كالجسد الواحد، وهذا من شأنه أن يضمن سلامة الفهم والإفهام لدى المتلقي. فإن كان هذا كذلك، فإن ما يعينني في هذه الدراسة من أدوات الربط والتماسك هو الإحالة، متخذًا من سورة الحجاب مضمارة تطبيقًا لها، فما الإحالة؟ وما أنواعها؟ وما أدواتها التي تفضي إلى ترابط النص لفظيًا وتلاحمه؟

الإحالة

للإحالة أثر في الكشف عن مدى ترابط النص واتساقه، كما سيأتي بيانه، وليس لها إطار إلا النص، وقد تعددت تعريفاتها في الاصطلاح بسبب الترجمة، ويمكن القول "إنها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمناً في النص الذي يتبعه أو الذي يليه، فالعناصر اللغوية في كل نص يترايط بعضها ببعض"⁽⁴⁾، فتتكون العلاقة المعنوية القائمة بين عناصر النص، بوساطة ألفاظ مخصوصة، وروابط معلومة كالضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولة⁽⁵⁾؛ لتربط كل عنصر بآخر داخل النص أو خارجه، محكومة بحال السياق أو المقام⁽⁶⁾، وقد كثر الكلام في مصنفات القدماء عن هذه الروابط بصورة مستقلة⁽⁷⁾.

(1) ينظر: بوجراند، وديسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ط(1)، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص11-12.

(2) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، ج(1)، ص96.

(3) استيقية، سمير، منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)، ط(1)، دار وائل، عمان، 2002، ص20.

(4) الزهراني، علا محمد، التماسك النصي في خطبة الوداع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، الأردن، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات EIMJ، العدد السادس والأربعون، شهر(4)، 2022، ص6.

(5) ينظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، القاهرة، دار العلوم، (د.ت)، ص22، 23، 27.

(6) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص172.

(7) ينظر: بقرني، نورة، الإحالة في الدراسات العربية القديمة، الجزائر، جامعة غليزان، المركز الجامعي، مخبر اللغة والتواصل، مجلة (لغة-كلام)، المجلد(7)، العدد(3)، 2021، ص94-99.

أهمية الإحالة

عطفًا على ما مرَّ سابقًا فإنَّ الإحالة من العوامل التي تسهم في ترابط النصِّ وتحقيق نصيَّته، إذ تعملُ العناصرُ الإحاليةُ على تشكيل شبكةٍ من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة داخل النصِّ، ما يفضي إلى تلاحم النصِّ، وترابط أجزائه المتباعدة⁽¹⁾، أي أنَّ الإحالة أشبه ما تكونُ بعملية بناء جسرٍ تربطُ الأجزاء المتباعدة بعضها ببعضٍ، مع وجود تطابق بين ما نُكرِّر في مقام (المُحيل)، وما هو مذكورٌ في مقامٍ آخر (المُحال إليه)⁽²⁾، ومن هنا فإنَّ الإحالة تقومُ على نوعين من الربط: ربطٍ دلاليٍّ يوافق الربطَ البنويَّ التركيبيَّ، وربطٍ دلاليٍّ إضافيٍّ يمثلُ الإحالة، وهو الربطُ الإحاليُّ.⁽³⁾

أمَّا أنواعها من حيث المرجع، فخارجيةٌ (مقاميةٌ)، وداخليةٌ (نصيةٌ)، ومن حيثُ الجهة، فقبليةٌ وبعديَّةٌ⁽⁴⁾، وسواءً أكانت قريبةً أم بعيدةً في داخل البناء النصيِّ، فالإحالة الداخلية (النصية) تعملُ على اتساق النصِّ بشكلٍ مباشرٍ، وترابط أجزائه بعضها ببعضٍ، وهي عودةُ العنصرِ الإحاليِّ على العنصرِ الإشاريِّ (المفسرِ) داخل النصِّ⁽⁵⁾، أمَّا الإحالة الخارجيةُ (المقاميةُ) وإن كانت تساهمُ في خلق النصِّ، إلا أنَّها لا تساهمُ في اتساقه بشكلٍ مباشرٍ⁽⁶⁾، بل تساهمُ في ربطه بسياق المقام⁽⁷⁾. وكلتاها تصنعُ ترابطًا لفظيًا ملحوظًا، وتحفِّزُ المتلقي وتنبِّههُ للعلاقات المعنوية، وتُعملُ ذهنه بين السابِق واللاحق منها⁽⁸⁾.

ويمكنُ إجمالُ الأغراض التي تسعى الإحالة لتحقيقها بالتلاحم النصيِّ (السبكِ)، والتماسك النصيِّ (الحبكِ)⁽⁹⁾، والتشكيل النصيِّ (الوحدة الكلية)، والانسجام النصيِّ (التواؤم)، والنصية بشكلٍ عامٍ⁽¹⁰⁾، ما يعني أنَّ لها دورًا كبيرًا في إخراج النصِّ على أفضل هيئةٍ، من حيثُ الترابط اللفظيِّ، وجعله جسدًا موحدًا؛ ليؤدِّي وظيفته في الإفهام، وإيصال الرسالة للمتلقى كما يجبُ، أي أنَّ الإحالة تقومُ بوظيفةٍ جماليةٍ ودلاليةٍ وإفهاميةٍ، وتتحقِّق هذه الوظيفة من

(1) ينظر: إيمان بليلة، يمينة هارون، دور الإحالة الضميرية في بلورة موضوع قصة سيدنا موسى (الأعراف، يونس، طه) أنموذجًا، الجزائر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2017، ص5.

(2) ينظر: إسماعيل، نائل محمد، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، غزة، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد(13)، عدد(1)، 2011، ص5. وينظر: بودرياس، توفيق، عليطوش، سهام نايت، الاتساق والانسجام في سورة الجن في ضوء لسانيات النص، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة عبد الرحمن ميرة، 2017، ص18.

(3) ينظر: إسماعيل، نائل محمد، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، ص5. وينظر: بنية النص في سورة الكهف (مقاربة نصية للاتساق والسياق)، رسالة ماجستير، شعيب محمودي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص41، 42.

(4) ينظر: إيمان بليلة، يمينة هارون، دور الإحالة الضميرية في بلورة موضوع قصة سيدنا موسى (الأعراف، يونس، طه) أنموذجًا، ص5-7. وينظر: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص (دراسة نصية من خلال سورة يوسف)، رسالة ماجستير، محمود سليمان حسين الهواوشة، جامعة مؤتة، الأردن، 2008، ص68-73.

(5) قبيلات، نزار مسند، ومحمود سليمان الهواوشة، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قميصنا البالي) للشاعر سميح القاسم، الأردن، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(39)، العدد(1)، 2012، ص129.

(6) المصدر السابق، ص129.

(7) ينظر: الجراح، عبد المهدي، وإبراهيم الكوفي، ومحمد القضاة، محمد، العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف دراسة نصية وظيفية، دراسات، ع(3)، مج(35)، 2008، ص539.

(8) ينظر: غيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط(1)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص5، 55.

(9) السبك: يُعنى بكيفية ربط مكونات النص السطحية، أي الربط التركيبي، والحبك: يُعنى بالوظائف التي تتشكّل بها مكونات عالم النص، أي الربط المعنوي.

(10) ينظر: بحيري، سعيد، دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، (د.ت)، ص91.

خلال ما تمنحه عملية الإحالة من اقتصادٍ في الكلام، وتجنبٍ للتكرار، إذ تختصر الوحدات الإحاليّة العناصر الإشاريّة، وتجنب المتكلم إعادتها في النصّ.

أدوات الإحالة

لا يمكن للإحالة أن تؤدي وظيفتها في الترابط النصّي إلا بواسطة مجموعة من الأدوات، وتتفرّع هذه الأدوات إلى عناصر رئيسية، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأدوات المقاميّة.

1- الضمائر: للضمائر دور هامّ في ترابط النصّ؛ كونها أداة إحاليّة تسهم في ربط أجزاء النصّ ببعضها ببعض، فهي تنوب عن الكلمات والعبارات المتتالية، ما يؤدي لسبك النصّ⁽¹⁾.

فليس من الغريب أن تحتلّ الضمائر هذه الأهميّة في اتساق النصّ وترابطه، فظاهرة التسلسل الضميري من الشروط النحويّة التركيبيّة لترابط النصّ، إذ يعرف النصّ أنّه "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض بواسطة تسلسل ضميري، تُجمّع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد"⁽²⁾.

وتقسم الضمائر في اللسانيات إلى: المتكلم والمخاطب، والأدوار الأخرى التي يقصد بها ضمير الغائب⁽³⁾. وتجدر الإشارة إلى أنّ ضمائر المتكلم والمخاطب إنّما تحيل إلى شيء خارج النصّ، ولهذا لا يُعول علماء اللغة النصّيون على هذه الضمائر في عملية الاتساق النصّي، إنّما يعولون على ضمائر الغائب؛ لأنّها تحيل إلى شيء غائب داخل النسيج النصّي نفسه، فتجبر المتلقي على البحث عنه داخل النصّ، وبذلك تسهم في اتساقه وترابطه⁽⁴⁾.

2- الاسم الموصول: للاسم الموصول خصيصة تميزه عن غيره فيما يتعلق بالإحالة؛ فهو العنصر اللغوي الوحيد الذي يؤدي وظيفتي العنصر الإحالي، والعنصر الإشاري⁽⁵⁾، وشأنه شأن الضمائر، إذ يسهم في شدّ أزر النصّ وترابطه، حينما يقوم بوظيفة الضمائر من حيث المرجعيّة والربط؛ لأنّه اسم مُفتقر، ومبهم الدلالة، ما جعله محتاجاً دائماً لعنصر آخر؛ ليزيل هذا الغموض عنه⁽⁶⁾.

3- أسماء الإشارة: تقسم أسماء الإشارة باعتماد المسافة قرّباً وبعداً من موقع المتكلم في المكان والزمان، فهي (الآن، غداً) بحسب الظرفيّة المحليّة، ومنها المحليّة على المكان (هنا، هناك...)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو بحسب البعد (ذاك وتلك)، وبحسب القرب (هذه، هذا...)، وهي كالضمائر إذ لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه، ويقع على عاتقها اتساق النصّ وترابطه سواء أكان بواسطة الإحالة القبليّة أو البعديّة⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 137.

(2) الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث فيما يكون به المملووظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص 12.

(3) ينظر: الخطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط(2)، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص 18.

(4) ينظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النص، ص 533.

(5) ينظر: حيال، أحمد حسين، السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، رسالة ماجستير، إشراف: علي الشمري، جامعة المستنصرية، العراق، 2011، ص 19.

(6) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ط(2)، دار الفكر، عمان، 2003، ص 112.

(7) ينظر: الداودي، زاهر مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط(1)، دار جريب، عمان، 2010، ص 47.

سورة الحجرات

هي من السور المدنية، عدد آياتها ثمانية عشرة آية، وترتيب نزولها بعد سورة المجادلة، وقبل سورة التحريم، وهي السورة التاسعة والأربعون في ترتيب المصحف، وتقع بين سورتي الفتح (ق)، وهي السورة الثامنة بعد المئة في ترتيب نزول السور.

الحجرات لغة: مأخوذة من الحجر، وهو المنع، وقيل للعقل (حجر)؛ لأن الإنسان في منع منه مما تدعوه إليه نفسه⁽¹⁾. والحجرات جمع مؤنث سالم لحجرة، والمقصود بها في السورة الكريمة حجرات نساء النبي، وكان عددها تسع حجرات، لكل واحدة منهن حجرة، وقيل: إنه جاء لفظ حجرات دون لفظ بيوت؛ لأنها كانت بيتاً واحداً مقسماً إلى تسع حجرات⁽²⁾، وهي الغرف المكونة للبيت الذي يسكنه أفراد العائلة من الذكور والإناث، وفيها آداب اجتماعية تخصهم جميعاً؛ لينطلقوا منها إلى المجتمع، فجاء الخطاب الرباني لهؤلاء الأفراد (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قومٍ... وغيره؛ ليعلمهم الآداب الاجتماعية، والأخلاق الإسلامية).

أما تسمية السورة فقد ذكر ابن عاشور في تفسيره: إنها سُميت بهذا الاسم بسبب ذكر لفظ الحجرات في آياتها، فهي تتحدث عن قصة بني تميم، وندائهم للنبي من وراء حجراته، وليس لهذه السورة أسماء أخرى تعرف بها⁽³⁾ سوى ما يقال: إنه يطلق عليها سورة الأخلاق والآداب؛ وذلك لأنها تتحدث عن الأخلاق السامية بدءاً من الإيمان الذي جاء الحديث عنه في بداية السورة، إلى الحديث عن باقي الآداب، ومكارم الأخلاق⁽⁴⁾.

وكان نزول هذه السورة في السنة التاسعة للهجرة، ورغم قلة عدد آياتها، إلا أن هناك العديد من الروايات في كتب التفسير حول أسباب نزولها، منها ما ذكره البخاري والواحدي حول قدوم وفد من بني تميم، وتجادلوا في جوار حجرات النبي، حتى ارتفعت أصواتهم، فنزلت فيهم الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾⁽⁵⁾.

وهناك أسباب أخرى ذكرها المفسرون في نزول الآية الكريمة ﴿قالت الأعراب آمناً...﴾ منها، ما قيل: إنها نزلت في بني أسد، لما قدموا على النبي، وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون له: "أتينا بالأنقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطينا من الصدقة"، وجعلوا يمتنون عليه أن أسلموا⁽⁶⁾.

(1) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط(1)، دار القلم، بيروت، 1412هـ، ص220.

(2) ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط(1)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج(9)، ص29.

(3) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج(26)، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص213-215.

(4) ينظر: البيانوني، عبد المجيد، البيانات في تفسير سورة الحجرات، ط(1)، دار نور، السعودية، 1997، ص28.

(5) ينظر: الجزائري، أبي بكر جابر (ت1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار السلام، القاهرة، 2015، ص121.

(6) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري أبو أحمد (ت468هـ)، أسباب النزول، ط(1)، دار الكتب العلمية، 1991، ص412.

المبحث الثاني الجانب التطبيقي

تحليل سورة الحجرات

بالنظر في الروابط اللفظية الإحالية تبدو سورة الحجرات متماسكة من الآية (1) إلى الآية (18)، وقد شكّلت الآية الأولى الوحدة الدلالية (النواة) التي تقود إلى فهم الإطار العام الذي تعالجُه هذه السورة، وهو الآداب والأخلاق التي ينبغي على المسلمين أن يتحلّوا بها مع رسول الله، ومع أنفسهم.

وهذا الترابط اللفظي المتحقّق من الآية الأولى يفضي إلى التساؤل عن مدى استمرار هذا الانتظام الإحالي بواسطة الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وعن وظيفة هذه العناصر بتحقيق الترابط الدلالي على مستوى المعاني في سائر آيات السورة.

لقد حفلت سورة الحجرات بعدد من الضمائر الشخصية، أغلبها ضمائر متصلة، وهي في الغالب تُحيل إلى مرجع سابق، كما ورد في السورة أيضًا عددٌ معدودٌ من الأسماء الموصولة كـ(الذين)، وأسماء الإشارة كـ(أولئك).

فإذا كان هذا كذلك فإنني لن أتوثّب إلا لدراسة الروابط الإحالية الحاضرة في هذه السورة، متجافياً عن غيرها كأدوات المقارنة، ناظرًا في حال من كان مضمارًا للخطاب، والسِّيَاق البنيوي، وسِّيَاق الحال، والأنظار الخارجية، وقد جاءت تلك الروابط على هذا النحو:

الآية (1): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدَمُوا...﴾⁽¹⁾

1) الأسماء الموصولة: يُحيل الاسم الموصول (الذين) إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملة "آمَنُوا"، وهذه إحالةٌ بعديةٌ داخليةٌ، ووجه الربط النحوي أنّ في جملة الصلة ضميرًا (الواو)، عائدًا إلى الموصول.

2) الضمائر: الضمير المتصل (الواو) في (آمَنُوا، تَقْدَمُوا، اتَّقُوا) يُحيل إلى مرجعٍ سابقٍ له (الذين)، ويطابُقه في الجنس والعدد، ومرجعيةً الضمير هاهنا قبليةٌ داخليةٌ، ووجه الربط النحوي لهذه الإحالات أنّ الضمير الأول في (آمَنُوا) رابطٌ بين الصلة والموصول المحال إليه (الذين)؛ ذلك أنّ جملة الصلة ترتبط بموصولها بضميرٍ عائدٍ مطابقٍ⁽²⁾. والضمير الثاني في (لا تَقْدَمُوا) جوابٌ لطلب النداء على المنادى (الذين)، وجاء الثالث في (واتَّقُوا) جوابٌ طلبٍ آخرٍ لـ(الذين) تابعا للطلب الأول (لا تَقْدَمُوا)، وهذا ما جعل الكلام كله مبنياً على بؤرة النص، والمحور الذي تدور حوله السورة، وهو "الَّذِينَ آمَنُوا".

أمّا ضميرُ الهاءِ في قوله (رسوله) فهو إحالةٌ قبليةٌ إلى سابقٍ (الله)، ويطابُقه في الجنس والعدد، وهذه الإحالة واقعةٌ برابط العطف بين الضمير والمحال إليه (الله).

(1) سورة الحجرات، الآية (1).

(2) يقول ابن مالك في هذا: وَكُلُّهَا يَلْزَمُ بَعْدَهُ صِلَةٌ * * * عَلَى ضَمِيرٍ لَائِقٍ مُشْتَمِلَةٍ. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1999، ص152.

الآية (2): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾⁽¹⁾

(1) **الأسماء الموصولة:** يُحيلُ الاسمُ الموصولُ (الذين) إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملةُ "آمَنُوا"، وهذه إحالةٌ بعديةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحَوِيِّ أَنَّ الضميرَ (الواو) الواقع في جملةِ الصِّلةِ يعودُ إلى الموصولِ.

(2) **الضمائر:** جاءتِ الضمائرُ المتصلةُ (و، كم) والضميرُ المنفصلُ (أنتم) تُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ لها، وهو (الذين)، وكلُّها تطابقُ المحالِ عليه (الذين) في الجنسِ والعددِ، والوجهُ النَّحَوِيُّ لهذه الإحالةِ أَنَّ ضميرَ الواوِ في (آمَنُوا) رابطٌ بينِ الصِّلةِ والموصولِ المحالِ إليه (الذين)، وهو في (لا تَرْفَعُوا) جوابٌ لطلبِ النداءِ على المنادى (الذين)، وجاءَ في (ولا تَجْهَرُوا) جوابٌ طلبٍ آخرَ للمنادى (الذين)، تابعاً للطلبِ الأولِ، أمَّا الضميرُ المتصلُ (كم) في (بَعْضِكُمْ، أَعْمَالِكُمْ)، والضميرُ المنفصلُ (أنتم)، وضميرُ الواوِ المتصلُ في (لا تَشْعُرُونَ) فكلُّها جاءتْ متعلقةً بجملةِ جوابِ النداءِ الثانيةِ (ولا تَجْهَرُوا) بالجرِّ أولاً، والمفعولُ له ثانياً، وجملةُ الحالِ ثالثاً، ولما كان مرجعُ ضميرِ جملةِ جوابِ النداءِ (ولا تَجْهَرُوا) هو (الذين) لزمَ من ذلكَ أن تكونَ سائرُ الضمائرِ المتعلقةِ بهذه الجملةِ راجعةً إلى المحالِ إليه نفسه (الذين)، وهذا ما جعلَ الكلامَ مترابطاً مبنياً على محورٍ من كانَ الخطابُ مضمراً له، وهو "الَّذِينَ آمَنُوا".

الآية (3): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ...﴾⁽²⁾

(1) **الأسماء الموصولة:** يُحيلُ الاسمُ الموصولُ (الذين) إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملةُ "يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ"، وهذه إحالةٌ بعديةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحَوِيِّ أَنَّ الضميرَ (الواوِ والهاء) واقعانِ في جملةِ الصِّلةِ؛ ليعودا إلى الموصولِ، فيكونُ الربطُ بينِ الصِّلةِ وموصولِها.

(2) **الضمائر:** جاءَ الضميرُ المتصلُ (الواوِ)، وضميرُ الهاءِ في (يَغُضُّونَ، أَصْوَاتَهُمْ) يُحيلانِ إلى مرجعٍ سابقٍ في النَّصِّ، هو (الذين)، إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحَوِيِّ أَنَّ المحالِ إليه اسمٌ موصولٌ، والضميرانِ (الواوِ والهاء) واقعانِ في جملةِ الصِّلةِ؛ ليربطا الصِّلةَ بموصولِها.

كما أَنَّ ضميرَ الهاءِ في (قُلُوبَهُمْ) يُحيلُ إلى الموصولِ السابقِ (الذين)، ووجهُ الربطِ النَّحَوِيِّ كالسابقِ، إذ إِنَّ المحالِ إليه اسمٌ موصولٌ، والضميرُ (الهاء) واقعٌ في جملةِ الصِّلةِ. أمَّا الضميرُ في (لَهُمْ) فَإِنَّهُ يُحيلُ إلى المرجعِ السابقِ نفسه، ووجهُ الربطِ أَنَّهُ واقعٌ في جملةِ استئنافِ بيانيٍّ⁽³⁾ على ما سبق.

(3) **أسماء الإشارة:** تتميزُ أسماءُ الإشارةِ بخاصيةِ الإحالةِ الموسَّعةِ، فقد يُحيلُ اسمُ الإشارةِ الواحدِ على جملةٍ أو فقرةٍ أو نصٍّ كاملٍ، وهذا ما يجعلُهُ مساهماً في ترابطِ النُّصوصِ القرآنيَّةِ، بوصفِها نصوصاً كاملةً المعنى والمبنى. ومن ذلكَ اسمُ الإشارةِ الواردُ في هذه السورةِ (أُولَئِكَ) فَإِنَّهُ يُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ، وهو "الَّذِينَ يَغُضُّونَ" وهي إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ أَنَّ اسمَ الإشارةِ واقعٌ في جملةِ الخبرِ عن المحالِ إليه (الذين)⁽⁴⁾.

(1) سورة الحجرات، الآية (2).

(2) سورة الحجرات، الآية (3).

(3) ينظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط(2)، دار الرشيد، دمشق، 1995، ص276.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص276.

الآية (4): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ...﴾⁽¹⁾

(1) **الأسماء الموصولة:** الاسم الموصول (الذين) يُحيلُ إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملةٌ "يُنَادُونَكَ"، وهذه إحالةٌ بعديةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيَّ أَنَّ في جملةِ الصَّلَةِ ضميراً (الواو) يربط بين الصلّة، وموصولها (الذين)، ذلك أنَّ حقَّ جملةِ الصلّة أن ترتبط بموصولها بضميرٍ عائدٍ لائقٍ مطابقٍ في الجنسِ والعددِ⁽²⁾.

(2) **الضمائر:** جاء ضميرُ المخاطبِ (الكاف) في (يُنَادُونَكَ) راجعاً إلى محالٍ إليه خارجيٍّ، هو الرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا ما أسهمَ في خلقِ ترابطِ النَّصِّ بالنظرِ في سياقِ المقامِ، فقد "نزلتْ هذه الآيةُ في قومٍ من الأعرابِ قدموا وافدينَ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدوه في حجراتِ نساءه، فلم يصبروا، ويتأدبوا حتّى يخرج، بل نادوه: يا محمدُ يا محمدُ، [أي: اخرج إلينا]، فذمَّهم اللهُ بعدمِ العقلِ، إذ لم يعقلوا عن الله الأديبِ مع رسوله واحترامه، كما أنَّ من العقلِ وعلامته استعمالُ الأديبِ"⁽³⁾، وقد أحالَ ضميرُ الكافِ إلى محالٍ خارجيٍّ (رسولِ اللهِ)؛ ليربط النَّصَّ بسياقِ المقامِ، وهذا ما أفضى إلى ترابطٍ وتلاحمٍ بينَ سياقِ المقامِ الخارجيِّ (سببِ النزولِ) وسياقِ النَّصِّ الداخليِّ؛ لئيشيَّ هذا الأمرُ ترابطاً نصياً محكماً.

أمَّا الضميرُ الغائبُ (الواو) في (يُنَادُونَكَ) فإنَّه يُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ له، وهو مَنْ كَانَ مِضْمَارًا لِلخِطَابِ، أي (الذين)، ويطابقُه في الجنسِ والعددِ، ووجهُ هذه الإحالة أنَّ ضميرَ الواوِ في (يُنَادُونَكَ) رابطٌ بينَ الصَّلَةِ والموصولِ المحالِ إليه (الذين).

وكذا الضميرانِ (هم) في (أَكْتَرُهُمْ)، والواوِ في (لا يَعْقِلُونَ) فيُحيلانِ إلى مرجعٍ سابقٍ لهما، وهو (الذين)، ويتطابقان مع المحالِ إليه (الذين) في الجنسِ والعددِ، ووجهُ ذلكِ الترابطِ أنَّهما جاءا في موضعِ الخبرِ عن المحالِ إليه، ذلك أنَّ الخبرَ الواقعَ جملةً حقَّةً أنَّ يحوي ضميراً عائداً إلى مبتدئه⁽⁴⁾، أو ما أصلُه مبتدأ، وهو هاهنا اسمٌ إنَّ (الذين).

(1) سورة الحجرات، الآية (4).

(2) يقول ابن مالك في هذا: وَكُلُّهَا يَلْزَمُ بَعْدَهُ صِلَةٌ * * * عَلَى ضَمِيرٍ لَائِقٍ مُشْتَمَلَةً. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص152.

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط(1)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلّى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000، ص799.

(4) قال ابن مالك في هذا: مُفْرَدًا يَأْتِي وَيَأْتِي جُمْلَةً * * * حَاوِيَةً مَعْنَى الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص202.

الآية (5): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا...﴾⁽¹⁾

الضمائر: جاء الضمير المتصل الهاء في هذه الآية في (أَنْهَجُ، إِلَيْهِمْ، لَّهُمْ)، والواو في (صَبَرُوا) يحيلان إلى المرجع (الذَيْن) في الآية السابقة، وهذه إحالة قبلية، جاء فيها المحال (الضمير) مطابقاً للمحال إليه في الجنس والعدد، والوجه النحوي لهذا الإحالة أن آية "وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا" ارتبطت بآية "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ بِالْوَاوِ، أَوْ أَنْ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ تَابِعَةً لِلأُولَى".

أما الضمير المستتر (أَنْتَ) في (تَخْرُجُ) فَإِنَّهُ يُحِيلُ بسياق المقام إلى محالٍ خارجيٍّ (رسول الله)؛ ليربط النص بتلك المناسبة التي مرّت سابقاً، وكذا الضمير المستتر (هُوَ) في (كَانَ) يُحِيلُ إلى الصبر المؤول في "أَنْهَجُ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ"، والوجه النحوي لهذه الإحالة واقع من ارتباط الشرط بجوابه، فالضمير العائد (هُوَ) جاء في جملة جواب الشرط، والمحال إليه (الصبر) مؤول من جملة الشرط.

الآية (6): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ...﴾⁽²⁾

1) الأسماء الموصولة: يحيل الاسم الموصول (الذَيْن) إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملة "آمَنُوا"، وهذه إحالة بعدية داخلية، ووجه الربط النحوي أن في جملة الصلة ضميراً (الواو) يربط بين الصلة وموصولها. كما يحيل الاسم الموصول (ما) إلى جملة الصلة التي بعده "فَعَلْتُمْ"، وتَمَّ رابطٌ مقدّرٌ يربط بين الصلة وموصولها، وهو الضمير المحذوف من جملة الصلة، إذ التقدير: (فعلتموه)، وهو عائدٌ إلى الموصول (ما)، وإحالة الاسم الموصول هذه إلى صلته إحالة بعدية داخلية.

2) الضمائر: جاء ضمير الواو والكاف في (آمَنُوا، جَاءَكُمْ، فَتَبَيَّنُوا، تُصِيبُوا، تُصِيبُوا، فَعَلْتُمْ) يحيلان إلى مرجع سابقٍ لهما، وهو (الذَيْن)، وهي إحالة قبلية داخلية، والوجه النحوي لهذه الإحالات أن ضمير الواو في (آمَنُوا) يرتبط بالموصول (الذَيْن) من حيث كونه واقعاً في صلته، ولما كان جواب نداء المنادى (الذَيْن) جملة شرطية جاءت هذه الضمائر (جَاءَكُمْ، فَتَبَيَّنُوا، تُصِيبُوا، تُصِيبُوا، فَعَلْتُمْ) في تلك الجملة وما تعلق بها؛ ليكون الارتباط بين هذه الضمائر والمحال إليه واقعاً من علاقة النداء بجوابه.

الآية (7): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...﴾⁽³⁾

1) الضمائر: جاءت الضمائر: الواو والكاف والتاء في (وَاعْلَمُوا، فِيكُمْ، يُطِيعُكُمْ، لَعَنْتُمْ، إِلَيْكُمْ، قُلُوبِكُمْ، إِلَيْكُمْ) لتحيل إلى مرجع سابق في الآية السابقة، وهو (الذَيْن)، وتطابقه في الجنس والعدد، وهي إحالة قبلية داخلية، والوجه النحوي لهذه الإحالات القبليّة الداخليّة أنّها واقعة في جملٍ ارتبطت بالمحال إليه بحرف الواو في (وَاعْلَمُوا)، وما تلا هذا من ضمائر فإنّه متعلّق به. أمّا الضمير الهاء في (زَيْنُهُ) فإنّه يحيل إلى (الإيمان) إحالة قبلية داخلية، والوجه النحوي الرابط بين المحال والمحال إليه هو الواو العاطفة، غير أن الضمير (هم) أحال إحالة قبلية داخلية إلى الموصوفين بالإيمان وبكره الكفر والفُسوق والعصيان، والوجه النحوي لهذه

(1) سورة الحجرات، الآية (5).

(2) سورة الحجرات، الآية (6).

(3) سورة الحجرات، الآية (7).

لإحالة أنه واقع في جملة تابعة للجملة السابقة. أما الضمائر المستتره فإنها جاءت على النحو الآتي:
الضمير المستتر (هو) في (يُطِيعُكُمْ) يحيل إحالة قبلية إلى رسول الله، والضمير المستتر (هو) في (حَبَّبَ،
زَيْنَهُ، كَرَهُ) يحيل إحالة قبلية إلى الله، فمرجعية الضمير المستتر هنا داخلية إلى مذكور سابق.
(2) أسماء الإشارة: (أُولَئِكَ) اسم إشارة يحيل إلى مرجع سابق، وهو "الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ" وهي إحالة قبلية
داخلية، ووجه الربط أن اسم الإشارة واقع في جملة الخبر عن المحال إليه (الذين).

الآية (9): ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾⁽¹⁾

(1) الأسماء الموصولة: الاسم الموصول (التي) يحيل إلى مرجع سابق مذكور، وهو الطائفة الباغية، في قوله:
"فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا"، ووجه الربط النحوي أن المحال إليه واقع في جملة الشرط، والموصول العائد واقع في جملة
الجواب.

(2) الضمائر: جاءت الضمائر الواو والهاء في (اقْتَتَلُوا، بَيْنَهُمَا، إِحْدَاهُمَا، بَيْنَهُمَا) لتحيل إلى مرجع متأخر عنها،
وهو (طَائِفَتَانِ)، وتطابقه في الجنس والعدد، وهي إحالة قبلية داخلية، والوجه النحوي لهذه الإحالات قبلية الداخلية
أنها واقعة في جملة شرطية، فضمير الواو في (اقْتَتَلُوا) جاء في جملة الشرط فاعلاً عائداً إلى مرجعه (طَائِفَتَانِ)،
وضمير الهاء في (بَيْنَهُمَا) جاء في جملة الجواب، ليعود إلى المرجع نفسه، وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنه قال:
"اقْتَتَلُوا"، وذكر قبله مثني: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"، فالطائفتان: مثني، فعاد الضمير الواو على الطائفتين، وهذا
باعتبار أفراد كل طائفة، أي أن المثني تحتها أفراد كثيرة في معنى الجمع⁽²⁾.

وضمير الهاء في (إِحْدَاهُمَا، بَيْنَهُمَا) فإنهما يحيلان إلى المرجع نفسه (طَائِفَتَانِ)، والربط النحوي لهذا أنهما واقعان
في جملة شرطية تابعة للجملة الأولى.

وضمير الواو في (فَأَصْلِحُوا، فَقَاتِلُوا، فَأَصْلِحُوا، وَأَقْسِطُوا) فإنه يحيل إلى مرجع في الآيات السابقت، وهو (الذين
آمنوا)، برابط نحوي هو حرف الواو، وهذه إحالة قبلية إلى مرجع مذكور سابقاً، وقد جاءت هذه الضمائر في جملة
متممة للسياق النبوي في النص، إذ إن مضمارة الآية المؤمنون الذين اقتتلوا، والذين أصلحوا.

أما الضمير المستتر (هي) في (تَبَغَّى، تَقِيءَ، فَأَعَتْ) فإنه يحيل إلى الفئة الباغية في قوله: "بَعَثَ إِحْدَاهُمَا" إحالة
قبلية داخلية، وربطه النحوي الشرط وجوابه كما مر سابقاً، وكذا الضمير المستتر (هو) في (يحبُّ) فإنه يحيل إلى
مرجع قبلي قريب (الله)، ووجه الربط النحوي أن هذا الضمير واقع في جملة الخبر عن المحال إليه (الله).

(1) سورة الحجرات، الآية (9).

(2) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق علي محمد معوض، ج(3)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص

الآية (10): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا...﴾⁽¹⁾

الضمائر: جاء الضمير المتصل (الواو)، وضمير الكاف في (فَأَصْلِحُوا، أَخْوَيْكُمْ، اتَّقُوا، لَعَلَّكُمْ، تُرْحَمُونَ) يُحيلان إلى مرجع سابق في النص، وهو (الَّذِينَ آمَنُوا)، وهي إحالة قبلية داخلية، ووجه الربط بين هذه الضمائر والمحال إليه أنها جاءت في جملة متممة للسياق -كما مرَّ آنفاً-، وقد تقدّم قبلاً حديثٌ عن اقتتال الطائفتين.

الآية (11): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...﴾⁽²⁾

1) الأسماء الموصولة: يحيل الاسم الموصول (الذين) إلى مذكورٍ لاحقٍ، وهو جملة "آمَنُوا"، وهذه إحالة بعدية داخلية، ووجه الربط النحوي أن في جملة الصلة ضميراً (الواو) يربط بين الصلة والموصول.

2) الضمائر: جاء الضمير المتصل (الواو) في (آمَنُوا) يُحيل إلى مرجع سابق له، وهو (الذين)، ويطابقه في الجنس والعدد، والوجه النحوي لهذه الإحالة أن ضمير الواو في (آمَنُوا) رابطٌ بين الصلة والموصول المحال إليه (الذين).

وضمير الواو في قوله "لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ..."، يُحيل إلى مرجع سابق وهو (قوم) بالجر، أي الذين وقع عليهم السخرية، وهي إحالة قبلية داخلية، والضمير الهاء في الآية نفسها يُحيل إلى (قوم) بالرفع، أي الذين قاموا بالسخرية، ووجه الربط النحوي بين هذين الضميرين والمحال إليه أنهما واقعان في جملة تعليلية، والمحال إليه في جملة مُعللة. وكذا الضميران نون النسوة والهاء في قوله "وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى..." فنون النسوة تُحيل إلى مرجع سابق، وهو (نساء) بالجر، أي اللواتي وقع عليهم السخرية، وهي إحالة قبلية داخلية، والضمير الهاء (مَنْهَن) في الآية نفسها يُحيل إلى (نساء) بالرفع، أي اللواتي قُمن بالسخرية، ووجه الربط النحوي بين هذين الضميرين والمحال إليه -كالذي سبق- أنهما واقعان في جملة تعليلية، والمحال إليه في جملة مُعللة.

أمّا ضمير الواو والكاف في قوله "وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ..." فيحيلان إلى مرجع سابق لهما، وهو (الذين)، ويتطابقان مع المحال إليه (الذين) في الجنس والعدد، ووجه الربط النحوي لهذا الإحالة أن ضمير الواو والكاف في (لا تَلْمِزُوا، أَنفُسَكُمْ، لا تَتَابَرُوا) وَقَعَا في جواب طلب النداء على المنادى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا".

وجاء الضمير المستتر (هو) في (لَمْ يَنْبُ) يُحيل إلى اسم الشرط (مَنْ)، إحالة قبلية داخلية، ووجه الربط النحوي هو أن المحال إليه أداة الشرط (من)، والضمير واقع في جملة شرطية.

كما أن ضمير الفصل (هم) أحال إحالة قبلية داخلية إلى الموصوف بعد التوبة في "وَمَنْ لَّمْ يَنْبُ"، ووجه الربط النحوي لهذه الإحالة أن ضمير الفصل (هم) واقع في جملة جواب الشرط.

3) أسماء الإشارة: (أُولَئِكَ) اسم إشارة يُحيل إلى مرجع سابق مذكور، وهو جملة "وَمَنْ لَّمْ يَنْبُ" وهي إحالة قبلية داخلية، ووجه الربط أن المحال إليه جملة الشرط، واسم الإشارة واقع في جملة جواب الشرط، والربط اللفظي بينهما الفاء الواقعة في جملة الجواب.

(1) سورة الحجرات، الآية (10).

(2) سورة الحجرات، الآية (11).

الآية (12): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا...﴾⁽¹⁾

1) الأسماء الموصولة: يُحيل الاسم الموصول (الذين) إلى مذكورٍ لاحقٍ وهو جملة "آمنوا"، وهذه إحالةٌ بعديّةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيّ أَنَّ الضميرَ (الواو) واقعٌ في جملةِ الصلّة؛ ليعودَ إلى الموصولِ.

2) الضمائرُ: جاءَ الضميرُ المتّصلُ (الواو) في (آمنوا) يُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ له، وهو (الذين)، ويطبّقُهُ في الجنس والعددِ، والوجهُ النَّحْوِيّ لهذه الإحالةِ أَنَّ ضميرَ الواوِ في (آمنوا) رابطٌ بينَ الصلّةِ والموصولِ المحالِ إليه (الذين). وجاءتِ الضمائرُ المتصلةُ (و، كم، تم)، في هذه الآية تُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ لها، وهو (الذين)، وكلُّها تطابقُ المحالِ إليه (الذين) في الجنسِ والعددِ، والوجهُ النَّحْوِيّ لهذِهِ الإحالاتِ أَنَّ ضميرَ الواوِ في (آمنوا) رابطٌ بينَ الصلّةِ والموصولِ المحالِ إليه (الذين). وهو في (اجْتَنِبُوا) جوابٌ لطلبِ النداءِ على المنادى (الذين)، وجاءَ في (وَلَا تَجَسَّسُوا) جوابٌ طلبٍ آخرٍ للنداءِ إلى المنادى (الذين)، تابعًا للطلبِ الأولِ، أمّا الضميرُ المتّصلُ (كم) في (بِعُضُكُمْ) فإنّه واقعٌ في جملةِ جوابِ النداءِ الثالثة، وفي (أَحَدُكُمْ) واقعٌ في جملةِ استفهاميّةٍ عنها؛ وذلكَ ليربطَ الضميرُ (كم) هاتينِ الجملتينِ بالمحالِ عليه (الذين). وكذلك الضميرُ (تم) في (فَكَرِهْتُمُوهُ) يرجعُ إلى المحالِ إليه (الذين)، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيّ أَنَّهُ وقعَ في جملةٍ تابعةٍ لجملةِ جوابِ طلبِ النداءِ. وكذلك ضميرُ الواوِ في (اتَّقُوا) يرجعُ إلى المحالِ إليه نفسه (الذين)، وقد وقعَ في جملةٍ تابعةٍ لجملةِ جوابِ النداءِ، معطوفةً على استئنافٍ مقدرٍ⁽²⁾.

كما جاءَ الضميرُ المتصلُ (الهاء) في (فَكَرِهْتُمُوهُ) محيلًا إلى المصدرِ المؤولِ في جملةِ "أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا" إحالةً قبليةً داخليةً.

أمّا الضميرُ المستترُ (هو) في (يَأْكُل) والمتّصلُ في (أخيه) فإنّهما يعودانِ إلى محالٍ إليه سابقٍ (أحدكم)، وهي إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيّ أَنَّ الضميرينِ وقعا في موضعِ المفعولِ بهِ (جملةِ المصدرِ المؤولِ) للفعلِ (يحب)، والمحالِ إليه هو الفاعلُ.

فكلُّها جاءتْ متعلّقةً بجملةِ جوابِ النداءِ الثانيةِ (وَلَا تَجْهَرُوا) بالجرِّ أولاً، والمفعولِ له ثانياً، وجملةِ الحالِ ثالثاً، ولمّا كانَ مرجعُ ضميرِ جملةِ جوابِ النداءِ (وَلَا تَجْهَرُوا) هو (الذين) لزمَ من ذلكَ أن تكونَ سائرُ الضمائرِ المتعلّقةِ بهذهِ الجملةِ راجعةً إلى المحالِ إليه نفسه (الذين)، وهذا ما جعلَ الكلامَ مترابطاً مبنياً على مَنْ كانَ الخطابُ مضمراً له، وهو "الَّذِينَ آمَنُوا".

الآية (13): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ...﴾⁽³⁾

الضمائرُ: الضميرُ (نا) في هذه الآية (إِنَّا، خَلَقْنَاكُمْ، جَعَلْنَاكُمْ) يُحيلُ إلى الله -جلَّ اسمُهُ-، وهذه إحالةٌ خارجيّةٌ (مقاميّةٌ)، بالنظرِ في سياقِ المقامِ، فالذي أنشأَ النصَّ هو الله، وتَمَّ قرأتُ أخرى تكشفُ وجهَ هذه الإحالةِ الخارجيّةِ، كإسنادِ الضميرِ (نا) الفاعلِ إلى الفعلِ (خلق)، فلمّا تقرّرَ في الخارجِ أَنَّ الخالقَ هو الله لزمَ من ذلكَ إحالةُ الضميرِ (نا) هاهنا إلى الله، وكذلك المقالةُ في إسنادِ الضميرِ (نا) إلى الفعلِ (جعل).

(1) سورة الحجرات، الآية (12).

(2) ينظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط(2)، ص290.

(3) سورة الحجرات، الآية (13).

فإن قيل: ما وجه عود ضمير الجمع (نا) إلى مفرد (الله) -جلّ اسمه-؟ فجوابه أن ذلكم مُفسَّر بتعظيم ذاته -تعالى جده-، ومثله قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾⁽¹⁾.
 أمّا الضمائر في (خَلَقْنَاكُمْ، جَعَلْنَاكُمْ، تَعَارَفُوا، أَكْرَمَكُمْ، أَنْتَإَكُمْ) فإنّها تُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ لها، هو مَنْ كَانَ مِضْمَارًا لِلخِطَابِ، أي (الناس)، وتطابقه في الجنس والعدد، وهذه إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجه الربط النحوي بين المُحيل والمُحال إلى أنّ هذه الضمائر وقعت في جملٍ لجوابٍ نداءٍ المنادى عليه (الناس).

الآية (14): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا...﴾⁽²⁾

الضمائر: جاءت الضمائر المتصلة (نا، و، كم) في هذه الآية تُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ لها، هو الأعراب، إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ففي (آمنا) وجه الربط أن الضمير جاء في جملةٍ مقولٍ قول الأعراب، أمّا الضمائر في (لَمْ تُؤْمِنُوا، قُولُوا، أَسْلَمْنَا، قُلُوبِكُمْ، تُطِيعُوا، لَا يَلْتَكُمُ، أَعْمَالِكُمْ) فوجه ارتباطها مع المُحال إليه أنّها جاءت في جملة الردّ على قول الأعراب.

والضمير المستتر (هو) في (يَلْتَكُمُ) يُحيلُ إلى (الله) إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجه الربط النحوي أنّ المُحال إليه (الله) واقعٌ في جملة الشرط، والضمير العائد واقعٌ في جملة الجواب.

أمّا الضمير المستتر (أنت) في (قل) فإنه يُحيلُ إلى رسول الله إحالةٌ خارجيةٌ (مقاميةٌ) وفق سياق المقام، فقد نزلت هذه الآية في أعرابٍ من بني أسد بن خزيمة، حينما قدّموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة في سنة جدّة، فأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السرّ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أتيناك بالأنقال والعيال، ولم نُقاتك كما قاتلك بنو فلان"، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمتنون عليه، فأُنزل الله تعالى فيهم هذه الآية⁽³⁾.
 أمّا ضمير الهاء في قوله (رسوله) فهو إحالةٌ قبليةٌ إلى سابقٍ (الله)، ووجه الربط النحوي بين المُحيل والمُحال إليه هو العطف.

الآية (15): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾⁽⁴⁾

1) الأسماء الموصولة: الاسم الموصول (الذين آمنوا) يُحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ قريبٍ وهو (المؤمنون)، وهي إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ، ووجه الربط النحوي هو أنّ المُحال إليه (المؤمنون) مبتدأ، والمُحيل (الذين) خبره، والأصل في الخبر أن يكون وصفاً صادقاً على المبتدأ.

2) الضمائر: الضميران المتصلان الواو والهاء في قوله (آمنا، يَزْتَابُوا، وَجَاهِدُوا، بِأَمْوَالِهِمْ، أَنْفُسِهِمْ) يحيلان إلى مرجعٍ سابقٍ لهما، وهو (الذين)، ويطابقانه في الجنس والعدد، ومرجعيتُهُ الضمير هاهنا قبليةٌ داخليةٌ، والوجه النحوي لهذا الإحالة أنّ الضمير الأول في (آمنا) رابطٌ بين الصلة والموصول المُحال إليه (الذين)؛ فجملة الصلة ترتبط

(1) سورة الحجرات، الآية (3).

(2) سورة الحجرات، (14).

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 799.

(4) سورة الحجرات، الآية (15).

بموصولها بضميرٍ عائِدٍ مطابقٍ، والضميرُ الثاني في (يَرْتَابُوا) واقعٌ في جملةٍ تابعةٍ معطوفةٍ على جملةِ الصلوةِ، وكذلك حالُ الضميرِ الثالثِ في (جَاهِدُوا)، أمَّا الضميرانِ في (أَمْوَالِهِمْ، أَنْفُسِهِمْ) فهما متعلقانِ بالجملةِ التابعةِ لجملةِ الصلوةِ.

كما أنَّ الضميرَ (هم) في قوله: "أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" أحالَ إِحَالَةً قَبْلِيَّةً دَاخِلِيَّةً إِلَى "الَّذِينَ آمَنُوا..." الموصوفينَ بعدمِ الارتبابِ والجهادِ بالأموالِ والأنفسِ، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيِّ لهذهِ الإحالةِ أَنَّ الضميرَ واقعٌ في جملةِ استئنافٍ مقررٍ لمضمونٍ ما سبق⁽¹⁾.

(3) أسماءُ الإِشَارَةِ: اسمُ الإِشَارَةِ (أُولَئِكَ) يُحِيلُ إِلَى "الَّذِينَ آمَنُوا..." وهي إِحَالَةٌ قَبْلِيَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ إِلَى مذكورٍ قَرِيبٍ، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيِّ -كالسابقِ ذِكْرُهُ- أَنَّ جملةَ "أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" استئنافٌ مقررٌ لمضمونٍ ما سبق⁽²⁾.

الآية (16): ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ...﴾⁽³⁾

(1) الأسماءُ الموصولةُ: يُحِيلُ الاسمُ الموصولُ (ما) إلى جملةِ الصلوةِ التي بعدهُ في قوله: "مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"، وَتَمَّ رَابِطٌ مَعْدَّرٌ يَرِيبُ بَيْنَ الصلوةِ وموصولها، وهو الضميرُ المستترُ في الخبرِ المحذوفِ (كائنٌ أو استقرَّ)، إذ التقديرُ: "مَا كَائِنٌ أَوْ اسْتَقَرَّ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا كَائِنٌ أَوْ اسْتَقَرَّ فِي الْأَرْضِ"⁽⁴⁾، وإحالةُ الاسمِ الموصولِ إلى صلتهِ إِحَالَةٌ بَعْدِيَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ.

(2) الضمائرُ: الضميرُ المستترُ (أنت) في (قل) فَإِنَّهُ يُحِيلُ إِلَى رسولِ اللَّهِ إِحَالَةً خَارِجِيَّةً (مَقَامِيَّةً) وَفَقَّ سِيَاقِ المَقَامِ، فقد نزلتِ الآياتُ السابِقاتُ -كما مرَّ- في أعرابِ من بَيَّيَّ أسدِ بنِ خزيمةَ، الذين قَدَمُوا عَلَى رسولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المَدِينَةَ فِي سَنَةِ جَدْبَةٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: "لَمْ تَوْمَنُوا..." فَأُعِيدَ لَمَّا طَالَ الفِصْلُ بَيْنَ القَوْلَيْنِ بِالجمَلِ المَتتَابِعَةِ، وهذا متصلاً بقوله: "ولمَّا يدخلُ الإِيمانُ في قلوبِكُم" اتصالِ البَيانِ بالمبِينِ⁽⁵⁾.

وجاءتِ الضمائرُ المَنصَلَةُ الواوُ والكافُ في "أَتَعْلَمُونَ، بِدِينِكُمْ" تُحِيلُ إِلَى أُولَئِكَ الأعرابِ السابِقي ذَكَرَهُمْ فِي الآياتِ، وهي إِحَالَةٌ قَبْلِيَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ بالنظرِ فِي السِيَاقِ البِنويِّ فِي النَّصِّ.

أمَّا الضميرُ المستترُ (هو) فِي (يَعْلَمُ) فَإِنَّهُ يُحِيلُ إِلَى مرجعٍ سابِقي لَهُ، هو اللَّهُ -جَلَّ اسْمُهُ- وَوَجْهُ الربطِ النَّحْوِيِّ أَنَّ الضميرَ المستترَ واقعٌ فِي جملةِ الخبرِ عَنِ المُحَالِ إِلَيْهِ (اللَّهُ).

(1) ينظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط(2)، ص295.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص295.

(3) سورة الحجرات، الآية (16).

(4) يقول ابن مالك في هذا: وَأَخْبَرُوا بِطَرْفٍ أَوْ بِخَرْفٍ جَزَّ *** نَاوِبِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرَّ. ابن عقيل، عيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص209.

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ص268.

الآية (17): ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾⁽¹⁾

جاءت الضمائر المتصلة هاهنا تحيلُ إلى مَنْ كَانَ مِضْمَارًا لِلخِطَابِ، وهُمُ الأعرابُ، وهذه الضمائرُ كُلُّهَا متصلة: (يَمُنُّونَ، أَسْلَمُوا، لَا تَمُنُّوا، إِسْلَامَكُمْ، عَلَيْكُمْ، هَذَاكُمْ، كُنْتُمْ)، وقد جاءت في جملٍ متممةٍ للسياقِ البنيويِّ في النصِّ، لتطابقَ المحالَ إليه في الجنسِ والعددِ، وهي إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ. أمَّا الضمائرُ المتصلةُ الكافُ والياءُ في (عَلَيْكَ، عَلَيَّ)، والضميرُ المستترُ (أنت) في (قل) فإنَّها تحيلُ إلى رسولِ اللهِ إحالةً خارجيةً (مقاميةً) وفقَ سياقِ المقامِ، كما مرَّ سابقًا. والضميرُ المستترُ (هو) في (يَمُنُّونَ) فإنَّه يحيلُ إلى مرجعٍ سابقٍ له، هو (اللهُ)، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيِّ -كما مرَّ سابقًا- أنَّ الضميرَ المستترَ واقعٌ في جملةِ الخبرِ عن المحالِ إليه (اللهِ).

الآية (18): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾⁽²⁾

1) الأسماءُ الموصولةُ: يحيلُ الاسمُ الموصولُ (ما) إلى جملةِ الصلةِ التي بعده "تَعْمَلُونَ"، وثُمَّ رابطٌ مقدَّرٌ يربطُ بينَ الصلةِ وموصولها، وهو الضميرُ المحذوفُ من جملةِ الصلةِ، إذ التقديرُ (تعملونه)، وهو عائدٌ على الموصولِ (ما)، وإحالةُ الاسمِ الموصولِ هذه إلى صلتهِ إحالةٌ بعديةٌ داخليةٌ.

2) الضمائرُ: الضميرُ المستترُ (هو) في (يَعْلَمُ) يحيلُ إلى محالٍ إليه سابقٍ له، وهو (اللهُ) إحالةً قبليةً داخليةً، ووجهُ الربطِ النَّحْوِيِّ -كالذي مرَّ آنفًا- أنَّ الضميرَ المستترَ واقعٌ في جملةِ الخبرِ عن المحالِ إليه (اللهِ). كما يحيلُ الضميرُ المتصلُ الواوُ في (تَعْمَلُونَ) إلى الأعرابِ السابقِ ذكرهم في الآياتِ، وهي إحالةٌ قبليةٌ داخليةٌ.

(1) سورة الحجرات، الآية (17).

(2) سورة الحجرات، (18).

الخاتمة

لقد أثبتت هذه الدراسة أنّ للإحالة دوراً فعّالاً وبارزاً في الربط بين الآيات وتناسقها في سورة الحجرات، سواءً أكان ذلك في السورة جميعها، أم في مقطعٍ مستقلٍ من مقاطعها، حتى غدت بناءً متكاملًا، ونصًا مترابطًا، وتوضّح بالشرح والتمثيل كيف أسهمت الإحالة بأنواعها وأدواتها في تعليق الكلام بعضه ببعض، وربط عناصره، وقد تجلّى ذلك فيما يلي:

- ترابطت سورة الحجرات لفظيًا من الآية (1) إلى الآية (18)، وشكّلت الآية الأولى الوحدة الدلالية (النواة) التي تقود إلى فهم الإطار العام الذي تعالجُه هذه السورة، وهو الآداب والأخلاق التي ينبغي على المسلمين أن يتحلّوا بها مع رسول الله، ومع أنفسهم.
- أسهمت عناصر الإحالة في تكوين وظائف نصية محددة وثابتة، من شأنها أن تعزز الأبعاد، التواصلية التأثيرية في النصّ القرآني، ومن هذه الوظائف الربط المحدد في المقصدية السياقية، وتعزيز بنية التعدد المرجعي، وتوجيه الكلام نحو مَنْ كان مضمارًا للخطاب، ونحو المقام (سياق الحال).
- عززت هذه العناصر العلاقة الحقيقية بين التراكيب ودلالاتها في النصّ والسياقات السابقة واللاحقة لها، فأضت ذلك إلى ترابط نصيّ متين في سورة الحجرات.
- حققت العناصر الواردة مبدأً دقيقًا للخطاب القرآني في الفهم والإفهام؛ لأنها تقوم بتوجيهه نحو المقصدية السياقية، لتخدم الموقف القرآني في إثبات الوحدة العضوية المتمثلة في الآداب والأخلاق التي ينبغي على المسلمين أن يتحلّوا بها مع رسول الله، ومع أنفسهم.
- أسهمت الضمائر الواردة في بؤرة هذه الدراسة في ترابط النصّ بتطابقها مع مراجعها المحددة، فكوّنت الإحالة الضميرية النصية ذات المدى القريب عاملاً إيجابياً في تحقق الانسجام وترابط النصّ؛ لقرب المسافة بين المحيل والمحال إليه، وجاءت الإحالة ذات المدى البعيد واضحة؛ لعودها إلى مرجع مشهور مستمر في النصّ، هو مضمار الخطاب، أمّا الإحالة الخارجية المرتبطة بأسباب النزول، وسياق المقام، فقد أفضت إلى جعل المتلقي موصولاً بالنصّ، مشدوداً إليه؛ لكونها تحيل إلى عنصرٍ مستقرّ في ذهنه، فجاءت ضمائر المخاطب المفرد محيلةً إحالةً خارجيةً إلى الرسول، وجاءت ضمائر المتكلم المفرد والجمع محيلةً إحالةً خارجيةً إلى الله، عزّ وجلّ، وكان لهذا أثر في ربط النصّ بسياق المقام وفهمه.
- جاء اسم الإشارة المبهّم المفتقر إلى ما يفسره، مفسرًا لشيء ظاهر يعود إليه اسم الإشارة؛ لتتمّ الدلالة، وقد حققت هذه الأسماء السبكيّ النصي في الآيات، إذ أحدثت شبكةً من الإحالات التي اختزلت عددًا كبيرًا من الألفاظ بلفظ واحد، باعتماد عملية ذهنية تهدف إلى استرجاع ما أحال عليه بصورة مكثفة مختصرة، وبدت أهميتها في اختلاف وظائفها، وأنواعها المتعددة، وقدرتها على الإحالة على نصّ بأكمله، فأضت ذلك إلى ترابط أجزاء النصّ لفظيًا، والابتعاد عن تكرار الألفاظ التي أحالت إليها تلك الأسماء، كما جاءت الإحالة الخارجية بأسماء الإشارة؛ لتربط بين النصّ وسياقه المقامي، فتحقق تفاعلًا متبادلًا بين اللغة والموقف⁽¹⁾.

(1) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ط(1)، ص339.

- كَانَ لِلْأَسْمِ الْمَوْصُولِ أَثْرٌ فِي سَبْكِ النَّصِّ، بِوَصْفِهِ أَحَدَ الْأَلْفَاظِ الْإِحَالِيَّةِ الَّتِي تَحَقُّقُ ذَلِكَ التَّرَابُطَ اللَّفْظِيَّ مَعَ الْوَسَائِلِ الْأُخْرَى، وَلَهُ وظيفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُمَا فِي رِبْطِ الْكَلَامِ وَاخْتِصَارِهِ، إِذْ يَقُومُ بِوظيفَةِ الضَّمَانِ نَفْسِهَا، مِنْ حَيْثُ الْإِشَارَةُ الْمَرْجِعِيَّةُ، وَرِبْطُ السَّابِقِ بِاللَّاحِقِ⁽¹⁾، فَهَوَ يَخْتَزِلُ الْكَلَامَ بَدَلًا مِنْ تَكَرُّرِ الْمَحَالِ إِلَيْهِ، فَيُحِيلُ إِلَى مَوْصُوفٍ سَابِقٍ ذَكَرَهُ، أَوْ خَارِجِيٍّ يَسْتَتِدُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، وَهَذَا مَا مَنَحَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّكَرُّرِ بِالْإِحَالَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ نَفْسِهِ، فَأَحَدَتْ نَسَقًا وَاحِدًا لِلنَّصِّ كُلِّهِ، بِصُورَةٍ تَتَّبِعُ ذَهْنَ الْمُتَلَقِّي لِانْتِبَاهِهِ لِمَرْجِعِ الْمَوْصُولِ، وَالِاتِّقَاتِ إِلَى عُنَاوَرِ النَّصِّ الْمَتْرَابِطَةِ، فَتَنْتَظِمُ فِي ذَهْنِهِ وَيَفْهَمُهَا، وَهَذَا مِمَّا يَزِيدُ تَفَاعَلَ الْمُتَلَقِّي مَعَ النَّصِّ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إستيتية، سمير، منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)، ط(1)، دار وائل، عمان، 2002.
- إسماعيل، نائل محمد، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، مجلة جامعة الأزهر، ع(1)، ج(13)، غزة، 2011.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط(1)، دار القلم، بيروت، 1412هـ.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط(1)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج(9).
- بحيري، سعيد حسن:
 - دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، (د.ت).
 - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:
 - ط(1)، دار توبار، القاهرة، 1997.
 - مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1997.
- بقرني، نورة، الإحالة في الدراسات العربية القديمة، الجزائر، جامعة غليزان، المركز الجامعي، مخبر اللغة والتواصل، مجلة (لغة-كلام)، المجلد(7)، العدد(3)، 2021.
- بليلة، إيمان، يمينة هارون، دور الإحالة الضميرية في بلورة موضوع قصة سيدنا موسى (الأعراف، يونس، طه) أنموذجًا، الجزائر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2017.
- بوجراند، ودريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ط(1)، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- البيانوني، عبد المحيد، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ط(1)، دار نور، السعودية، 1997.
- الجراح، عبد المهدي، الكوفحي، إبراهيم، القضاة، محمد، العناصر المرجعية (الضميرية) في سورة الكهف دراسة نصية وظيفية، دراسات، ع(3)، مج(35)، 2008.
- الجزائري، أبي بكر جابر (ت1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار السلام، القاهرة، 2015.

(1) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج(1)، ص138.

- حشايشي، زهور، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قدر حبه) لمحمد جربوعة، رسالة ماجستير، إشراف: د. ناصر بركة وآخرون، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2016
- حيال، أحمد حسين، السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، رسالة ماجستير، إشراف: علي الشمري، جامعة المستنصرية، العراق، 2011.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط، تحقيق علي محمد معوض، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
- الخطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط(2)، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
- الداوودي، زاهر مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط(1)، دار جرير، عمان، 2010.
- دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
- الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
- الزهراني، علا محمد، التماسك النصي في خطبة الوداع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، الأردن، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات EIMJ، العدد السادس والأربعون، شهر(4)، 2022.
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، ط(2)، دار الفكر، عمان، 2003.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط(1)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.
- صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط(2)، دار الرشيد، دمشق، 1995.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- عفيفي، أحمد:
 - الإحالة في نحو النص، القاهرة، دار العلوم، د.ت.
 - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط(1)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1999.
- الفقهي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- قبيلات، نزار مسند، ومحمود سليمان الهواوشة، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قميصنا البالي) للشاعر سميح القاسم، الأردن، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(39)، العدد(1)، 2012.
- محمودي، شعيب، بنية النص في سورة الكهف (مقاربة نصية للاتساق والسياق)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010.
- الهواوشة، محمود سليمان حسين، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص (دراسة نصية من خلال سورة يوسف)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 2008.
- الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري أبو أحمد (ت468هـ)، أسباب النزول، ط(1)، دار الكتب العلمية، 1991.